

علاقة مملكة عسقلان السياسية والاقتصادية مع مصر والآشوريين

الباحث تميم عبد السميع جبير أ.م.د. شيبان ثابت الراوي

جامعة الانبار- كلية الآداب

المستخلص

اجتمعت عدة عوامل في تكوين الأهمية السياسية والعسكرية والتجارية لمدينة عسقلان، فهي تعد بمثابة البوابة الشمالية لمصر في التوغل في بلاد الشام والسيطرة على مدنها، كما أنّ أهميتها التجارية لا تقل أهمية عن مكانتها السياسية، فهي ميناء تجاري مهم، كما أنّها تمر بها التجارة بين الشرق والغرب، لذا نجد السياسة المصرية على الدوام حريصة على أن تكون عسقلان تحت حمايتها وتبعيةها، وهذه الحالة قائمة ما دامت السلطة المصرية قوية، إلّا أنّه في الفترات الأخيرة لما قبل الميلاد وبعد ضعف السلطة المصرية أصبحت تحت الحكم الآشوري والبوابة التي دخلت منها الجيوش لغزو مصر، وهذه الحقائق جميعاً أكّدها المدونات التاريخية الخاصة بهذا الموضوع.

الكلمات المفتاحية : عسقلان، مصر، الآشوريين .

**The political and economic relationship of the Kingdom of
Ashkelon with Egypt and the Assyrians**

Researcher Tameem A. Jubai Asst.Prfr. Dr. Shaiban Th. Alrawi

University of Anbar - College of Arts

shaibanalrawi@yahoo.com

Abstract

Several factors came together in the formation of the political, military and commercial importance of the city of Ashkelon, as it is considered the northern gateway for Egypt to penetrate the Levant and control its cities, and its commercial importance is no less important than its political position, as it is an important commercial port, as it passes through trade between the East And the West, so we find Egyptian politics always keen to have Ashkelon under its protections and subordination, and this situation exists as long as the Egyptian authority is strong, except that in the last periods of BC and after the weakness of the Egyptian authority it came under the Assyrian rule and the gate from which the armies entered to invade Egypt, These facts are all confirmed by the historical blogs on the topic.

Keywords: Ashkelon, Egypt, Assyrians.

المقدمة

إنَّ المدن التي تقع على حدود دولتين أو أكثر تكون ذات أهمية سياسية وعسكرية واقتصادية، وهذه الحالة تنطبق على مدينة عسقلان الواقعة على الحدود المصرية وبلاد الشام، فضلاً عن كونها ميناء حيوي يتحكم بالتجارة بين الأمم القديمة، لذا نجد الدولة المصرية قبل الميلاد كانت حريصة على جعل هذه المدينة تابعة لها سياساً، ومنها تنطلق الجيوش في حركاتها التوسعية وللسيطرة على ممالك بلاد الشام، لذا نجد العلاقات السياسية بين هذه المدينة جيدة على طول القرون، إلا في الفترة التي ضعفت فيها الدولة المصرية، إذ تم احتلالها من قبل الآشوريين وجعلوها البوابة لاحتلال مصر، فمن هذا الجانب اكتسبت هذه المدينة مكانتها وكما يأتي تفصيله فيما يأتي:

المبحث الأول

علاقة مملكة عسقلان السياسية والاقتصادية مع مصر والآشوريين

تعد مملكة عسقلان على وجه الخصوص وممالك الساحل الجنوبي بمثابة البوابة الشمالية لمصر للدخول إلى بلاد الشام^(١)، وهذا ما أكدته اللقى الأثرية التي اكتشفت في تلك الاماكن، وأكدت الصلات الوثيقة بين تلك الممالك وجنوب فلسطين^(٢)، ومن خلال ذلك يمكن معرفة تلك العلاقات مع بعض المدن ومن بين تلك الممالك مملكة عسقلان التي كانت على الدوام تابعة للإدارة المصرية، وهذا ما أكدته الكتابات المصرية التي تعود إلى القرن التاسع عشر قبل الميلاد^(٣)، فنكرت تلك الكتابات أنه في عام (١٤٠٠ ق.م) أنَّ ملك عسقلان (ياداي- واجون- تاكلا) طلب من فرعون مصر المساعدة للوقوف بوجه الهجمات التي كان يقوم بها الطامعون بأرض عسقلان ويؤكد له تبعية المملكة للسيادة المصرية^(٤)، وتؤكد الرسائل على أنَّ هذا الملك استمر على علاقات طيبة وتعاون مع الدولة المصرية خلال حكمه^(٥).

لقد كانت أهمية مملكة عسقلان وغزة كونهما كانتا الطريق التجاري المهم الذي يتصل مع مصر، وهذا ما أسهم إسهاماً كبيراً للمملكتين في حالتها السلم والحرب، وكان هذا الطريق الاستراتيجي والمهم يطلق عليه اسم طريق حورس^(٦)، والذي يعد من أقدم الطرق في العالم القديم، وهذا الطريق فضلاً عن أهميته التجارية استخدمه الفراعنة كطريق عسكري للدخول إلى الممالك الساحلية والتوغل في بلاد الشام، ومن خلال هذا الطريق فقد وصلت الجيوش



المصرية إلى أعالي نهر الفرات في عهد الفرعون توحتمس الأول^(٧)، إلّا أنّه في أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد وقع صدام بين الفلسطينيين القاطنين في الجنوب الفلسطيني والفراعنة حيث أنّ هؤلاء الفلسطينيين تحركوا ضد القوات المصرية ووصلوا إلى الأراضي المصرية بهدف الإقامة على تلك الأرض إلّا أنّ القوة التي واجهتهم من قبل فراعنة مصر أفشلت تلك المحاولة وتم ملاحقتهم حتى عادوا إلى السواحل الجنوبية لفلسطين التي جاءوا منها^(٨)، وتذكر الدراسات أنّ خلفاء الفرعون رعميسس الثالث هم من طرد الفلسطينيين القادمين من سواحل البحر وذلك بسبب رفضهم الأموال التي فرضت عليهم مقابل الاستقرار على الأرض المصرية ومزاولة أعمالهم فيها بحرية تامة، فكان طردهم من البلاد لهذا السبب^(٩)، ومع هذا فإنّ الممالك الساحلية ومنها مملكة عسقلان كانت ساحة قتال بين الجيوش المصرية والقوى المختلفة، ومن أمثلة ذلك المواجهة التي حدثت بين الفراعنة والأقوام القاطنة في البلاد السورية حيث تجمعت القبائل الكنعانية والارامية في مدينة مجدو سنة (١٤٨٠ ق.م) فتحرك الفرعون توحتمس الثالث نحو هذه الجموع واشتبك معهم فأُسفرت المعركة عن فرار هذه الجموع فصارت مدينة مجدو تحت السيادة المصرية^(١٠)، ونشير رسائل تل العمرنة إلى أنّ الفرعون المذكور بعد تلك المعركة أخضع المدن الساحلية ومنها عسقلان لسلطانه وجعل منها حاميات عسكرية ووضع فيها من قبله مشرفين يديرون شؤون تلك البلدان مع جعلها بمثابة حاميات عسكرية تقوم بمهمة الدفاع عن مصر إذا داهمها عدو^(١١)، يُفهم من هذا مدى القوة التي تتمتع بها الدولة المصرية وهيمنتها على سائر الممالك المتواجدة في جوارها ومنها مملكة عسقلان، ونتيجة الانتصار الساحق للجيوش المصرية على الحلف المذكور في معركة مجدو فقد توج ذلك النصر بنقش وجد على جدران معبد الكرنك حيث جاء فيه تسجيل أسماء المدن التي تم الانتصار عليها والتي بلغت (١١٩) مدينة حيث أخذ سكانها أسرى وظهر الفرعون وهو مزهو بالنصر وممسك بشعر رؤوس ملوك تلك المدن وهم راكعون تحت قدميه^(١٢).

كانت الدولة المصرية تواجه هجمات كان يقوم بها سكان الصحراء الشرقية مع بعض الممالك الساحلية، وظلت هذه الهجمات مستمرة حتى حدود سنة (١٩٧٠ ق.م)، إذ كانت المدن الكنعانية مثل عسقلان وجزر وينعم وبيبلوس (جبيل) تمثل مكانًا لتحركات هؤلاء البدو القادمين من مفرق الرمال، فقامت السلطة المصرية بإنشاء الأسوار لصد هجمات هؤلاء

(السيق)، وبدو النقب وسيناء فهؤلاء كما أشارت النصوص كانوا يمثلون موطن خطر على الدولة المصرية^(١٣)، ومن اللافت للنظر ومن خلال الرسومات وأشكال الحيوانات المنحوتة على الجدران والتي وجدت في تلك المدن التي كانت خاضعة للسيطرة المصرية، كلها تشير إلى السيطرة المصرية على تلك البلدان ومنها مدينة عسقلان، ويعبر عن الوضع السياسي والاقتصادي خلال مرحلة الهيمنة المصرية على تلك المدن وطبيعة العلاقة السياسية التي كانت قائمة وفق ذلك التاريخ الطويل^(١٤).

تعد رسائل تل العمرنة من أهم الوثائق التي تؤرخ لتلك الفترة التي أحكمت سيطرتها الدولة المصرية على الساحل الفلسطيني ومنها على وجه الخصوص مملكة عسقلان، حيث نصّت تلك الرسائل التي كتبها زعماء عسقلان في تعاملهم مع السلطة المصرية في حالتها السلم والحرب، أو الممالك المجاورة لعسقلان، والتي جاءت أغلبها استعانة مملكة عسقلان بالسلطة المصرية والتودد إليها وتقديم الولاء والهدايا وغير ذلك^(١٥).

ومن جانب مصر كان الفراعنة يدعمون أولئك الحكام وتمدوهم بالجيش حفاظاً منها على السيطرة والانتفاع من الموقع الجغرافي والتجاري، فضلاً عن أهمية تلك المملكة باعتبارها الرباط الأمامي للدولة في صد هجمات الأعداء عليها^(١٦)، وفيما يأتي يمكن الاستشهاد ببعض تلك الرسائل:

من خلال قراءة رسائل تل العمرنة أنّ مملكة عسقلان قد اتخذت أسلوبين في التعامل مع السلطة المصرية وذلك تبعاً لوضع السلطة المصرية بين القوة والضعف واستجابة لقوة أعداء تلك السلطة والضغط التي كانوا يمارسونها على تلك الممالك ومن بينها مملكة عسقلان:

١- قوة السلطة المصرية:

جاءت الرسائل في هذه المرحلة تتضمن الخضوع التام للسلطة المصرية من قبل مملكة عسقلان نظراً لقوتها وسيطرتها على الممالك الخاضعة لها، ومن تلك الرسائل:

ما أرسله الملك (يديا) ملك عسقلان والتي جاء فيها:

(إلى الملك، سيدي، إلهي، الشمس المشرقة، هكذا يقول يديا، حاكم مدينة أشقلون خادمك، غبار قدميك، سائس أحصتك، أحنى نفسي لدى قدمي الملك، سيدي، سبغاً فسبغاً، وذلك على البطن وعلى الظهر، ها أنا أحمي مكان الملك الذي يتبع لي وكل ما كتبه الملك

سيدي إليّ أصغيت إليه باهتمام بالغ، من هو الكلب الذي لا يصغي إلى كلمات الملك سيده، ابن الشمس...^(١٧).

هذه الرسالة تتضمن في سطورها الخضوع التام في القرن الرابع عشر قبل الميلاد من قبل ملك عسقلان يديا، وتؤكد التزام هذا الملك بكل ما يصدر من أوامر من قبل الفرعون أمنحوتب الرابع (اخناتون) وإخلاصه له والعمل بما يوجهه من أوامر تقتضي الانصياع والالتزام والتودد والخضوع، والامتثال للأوامر

ولما كان ممثلوا الفرعون يتمتعون بالصلاحيات المطلقة ويعملون بما يُملى عليهم من أوامر، كان ملك عسقلان يعظم ويعمل بتوجيهاتهم لأنها أوامر الفرعون، وفي الرسالة الآتية يؤكد الملك على طاعة ممثل الفرعون ومنذوبه إليه، يقول في رسالة له حملت سطورها مدى التذلل للفرعون:

(إلى الملك سيدي، شمسي، الشمس المشرقة، هكذا يقول يديا حاكم مدينة أشقلون خادمك، غبار قدميك، سائس أحصنك، أحنى نفسي لدى قدميك، سيدي سبعا فسبعا، فيما يتعلق بالمندوب الذي أرسله الملك سيدي، الشمس المشرقة من السماء، فقد أصغيت إلى كلماته باهتمام بالغ...)^(١٨).

يظهر في هذا النص أنّ الفرعون أرسل مع مندوبه رسالة شفوية للملك دون ذكر مفهوم وفحوى تلك الرسالة، وقيام الملك بتنفيذ ما طلب منه. وفي رسالة أخرى تتضمن الاستعداد من قبل ملك عسقلان لإعداد الأطعمة اللازمة للقوات التي ستصل إلى مملكة عسقلان، وفيها يظهر الملك التذلل والخضوع والطاعة والانقياد، يقول فيها:

(... ها أنا ذا حامى كلمات الملك، سيدي ابن الشمس، وها أنا ذا أعددت طعاما، وشرابا وحبوبًا وثيرانًا وخرافًا وماعزًا لاستقبال قوات الملك سيدي...)^(١٩).

وكان الفرعون المصري كثيرًا ما يبذل مندوبيه إلى الممالك التابعة له إذا أحس تقصيرًا منهم في أداء الواجب، وعند وصول المندوب جديد يسارع الحاكم في الكتابة إلى الملك باستقبال المندوب الجديد ورضاه عنه، ومن ذلك ما كتبه ملك عسقلان يديا إلى الفرعون أمنحوتب الرابع ما نصه:



(...) ها أنا أحمي مدينة الملك سيدي، ليت آلهة الملك سيدي تحمي مدنه، وأيضًا ليت يدي الملك القويتين تحميان كل بلاده، لقد أصغيت إلى كلمات الملك سيدي المرسلّة إلى مندوبه، لأنّه لم يكن يستطيع حماية بلاد الملك سيدي لذا عيّن الملك سيدي الآن (ياناب)^(٢٠) مندوبًا للملك سيدي، لا شك أنّه سينقل إليّ ما هو جيد في نظر الملك سيدي، إنّ كل ما يصدر عن فم الملك سيدي سأهتم بتنفيذه نهارًا وليلاً^(٢١).

ويكرر حاكم عسقلان خضوعه لأوامر الفرعون وإنّه يقوم بتجهيز ما يأمر به الفرعون من فرض فيقول في الرسالة التالية:

(...) أنا ذا أحمي مكان الملك سيدي ومدينة الملك سيدي التي تتبع لي، من هو الكلب الذي لا يصغي إلى كلمات الملك الشمسي المشرقة من السماء، ها قد جهزت كل شيء طعامًا وشرابًا، خرافًا ومعزًا وحبوبًا كل شيء أمر به الملك سيدي، نعم ها قد جهزته، ها أنا ذا أجهز جزية الشمس كما أمر الملك سيدي الشمس المشرقة من السماء^(٢٢).

وفي رسالة أخرى نجد أنّ الفرعون المصري امنحوتب الرابع يكتب إلى ملك عسقلان يخبره بأحوال البلاد، ويطلب منه أن يحمي ما تحت يده من بلاد، ويتضح من نص الرسالة أنّ ملك عسقلان قد تسلمها من مندوب الفرعون جاء فيها:

(قيل ليديا حاكم مدينة أشقلون (عسقلان): هكذا يقول الملك: ها أنا ذا أرسل هذا الرقيم إليك، قائلًا لك: إحم لتكن حاميًا مكان الملك الذي يتبع لك، ها هو الملك قد أرسل إليك إريمايستا، ولتعلم أنّ الملك بخير كالشمس في السماء، وإنّ قواته وعرباته الكثيرة في البلاد العليا حتى البلاد السفلى من مشرق الشمس حتى مغرب الشمس بخير جدًّا^(٢٣)).

٢- مرحلة ضعف السلطة المصرية:

في الرسائل التالية التي كان يرسلها حكام المدن الفلسطينية إلى الفرعون تدل دلالة واضحة على ضعف السيطرة المصرية على تلك الممالك ومنها مملكة عسقلان، وذلك لتعاظم أعداء الدولة المصرية مثل الحثيين وعبد- عشرتا^(٢٤) وابنائه كما أشرنا سابقًا، والتحالف الذي عقد بين الاثنين للسيطرة على الممالك التابعة للسيادة المصرية من جهة، ومن جهة ثانية فإن الاستغاثات التي وصلت إلى البلاط المصري لم تلق استجابة، فمالّت تلك الممالك مع الأقوى في المنطقة^(٢٥).

أولى تلك الرسائل التي تمثل المرحلة موضوع الرسالة التي كتبها حاكم القدس من تعاون (إيديا) ملك عسقلان مع الخابيرو وأعداء الفرعون، حيث حملت تلك الرسالة التي وجهها عدي خيبا إلى امنحوتب الرابع:

(... إن مدن جزر وعسقلان ولاخيئ قد أخذوا يساعدون أعداء الفرعون ويقدمون لهم المؤونة والسلاح، فيجب إرسال قوة ضدهم...)^(٢٦).

فهذا النص ينبيء بوضع خطير اتخذته حاكم عسقلان بوقوفه إلى جانب أعداء الدولة المصرية وإمدادهم بالمؤن والسلاح وغير ذلك، ومن الرسائل الأخرى الذي يقدم صورة واضحة عن موقف مملكة عسقلان وباقي ممالك الساحل ما كان يصل إلى السلطة المصرية من تغلب أعداء الدولة وانضمام الممالك إلى جانبهم.

من الرسائل التي تمثل المرحلة:

ما كتبه (رب- عدي) ملك جبيل إلى الفرعون امنحوتب الثالث والتي يؤكد فيها: (فليعلم سيدي الملك أن ملك الحثيين قد استولى على كل الممالك التي مع بلاد ميتاني)^(٢٧).

ومما يؤكد ضعف الدولة المصرية وعدم قيامها بانقاذ الممالك الساحلية هذه الرسالة التي أرسلها حاكم جبيل والتي توضح الحالة ما يلي:

(... سمعت أن الحثيين حرقوا البلدان بالنار وكنت قد كتبت لكم مراراً ولكن لم يصلني أي جواب، إن كل البلدان يا مولاي الملك ثم غزوها والآن جلبوا الجنود من أراضي خاتي لغزو جبيل)^(٢٨).

ومن الرسائل الأخرى التي توضح اختلال المدن وتغلب أعداء الفرعون ما كتبه (أبي- ملكي) حاكم صور إلى امنحوتب الرابع:

(... ليست هناك قوات حماية أخرى، إن الذي ينهب بلاد الملك هو ملك بلاد صيدونا، أما ملك حاصور فقد ترك مقره واصطف مع الخابيرو، ليت الملك يهتم بأمر تلك القوات أنهما شريان لقد جعل بلاد الملك خاضعة للعرفيين، ليت الملك يسأل مندوبيه الذي يعرفون بلاد كنعان جيداً)^(٢٩).

خلاصة ما تقدم من أحوال مملكة عسقلان والممالك الأخرى أن تلك الممالك مرت بمرحلتين:

مرحلة أولى: مرحلة قوة الدولة المصرية وسيطرتها على الممالك التابعة لها، وفي هذه المرحلة مثلت الرسائل خضوع الممالك للسلطة المصرية نتيجة قوتها.
مرحلة ثانية: تضافرت عدة عوامل لانفصال مملكة عسقلان وغيرها عن السيادة المصرية وأهمها:

١. ضعف الفرعون المصري أمنحوتب الرابع وعدم المبالاة للاستغاثة التي كان يرسلها حكام الممالك، وعدم اكتراث الفرعون بفحواها والخطر الداهم لتلك الممالك.
٢. تعاظم قوة الحثيين والخابيرو واستغلال ضعف السيادة المصرية فأخذت الممالك تنتهوى أمام هذه القوة الجديدة الصاعدة، ومن بينها مملكة عسقلان سنة (١٣٦٠ ق.م)^(٣٠).
٣. الخلافات الكبيرة التي كانت بين ممالك الساحل مما جعلها غير قادرة عن الدفاع عن ممتلكاتها وبالتالي الاستسلام للقوة الأعظم القادمة من الشمال.
٤. كثرت الضرائب والجزية التي كان يفرضها الفرعون على شعوب تلك الممالك، مما جعل الفرصة سانحة للتخلص من تلك السطوة والذل الذي لحق الملوك، والتطلع إلى حالة أفضل من السابقة.
٥. كل هذه العوامل اجتمعت للتخلص من سطوة المصريين، فتهافت الممالك أمام الأعداء كرهاً وطوعاً.

علاقة مملكة عسقلان السياسية مع الدولة الآشورية:

كانت الدولة الحثية والميتانية والمصرية في العصر الآشوري الوسيط هي التي تتقاسم مناطق النفوذ في بلدان الشرق القديم، وهذه الحالة كانت عقبة كبيرة في توسع الآشوريون في هذه البلاد بالرغم من تطلعها لاحتلال أجزاء من تلك الدول^(٣١)، إلا أنه بعد فترة من الزمن حدث ما يتيح الفرصة للآشوريين للتوسع في بلدانهم، وذلك بانهيار الممالك المذكورة أو ضعفها مما كان حافزاً لتحقيق السيطرة على تلك البلدان وظهورها على المسرح السياسي كدولة قوية مترامية الأطراف^(٣٢)، ويمكن اعتبار الحروب الطويلة التي أنهكت قوة المصريين والحثيين أسهمت إسهاماً كبيراً في تحجيم قوة الدولتين واضعافها، فبموجب ذلك سقطت دولة الحثيين عام (١٢٠٠ ق.م) على يد الأقوام الإيجيين الذين انحدروا من بحر إيجه^(٣٣)، ولم



يبقى من هذه الدولة سوى دويلات ضعيفة قضى عليها سرجون الثاني الآشوري في نهاية القرن الثامن قبل الميلاد^(٣٤)، هذا عن الموجة الأولى، أما الموجة الثانية من الإيجيين فإنهم ساروا بمحاذاة الساحل السوري قاصدين مصر للاستيلاء عليها، فقام الفرعون رمسيس الثالث (١١٩٢ - ١١٨٠ م) بمحاربتهم وابعاد خطرهم على بلاده، فرجعوا إلى الساحل واستوطنوا عدة مدن من مدن الشام مثل غزة وعسقلان وأشدود وغيرها^(٣٥)، وقد ترك هؤلاء الإيجيين آثار حضارية في المناطق التي استوطنوها مثل غزة وعسقلان نتيجة خبرتهم الواسعة في مجال الزراعة والتجارة وصناعة السفن وركوب البحر، فاخذ عنهم سكان البلاد الأصليين كثيراً من أساليبهم في الفنون السابقة^(٣٦).

أما الدولة المصرية التي كان لها السيادة المطلقة على ساحل الشام، فإنّ الوهن قد دبّ بها وأصابها الانقسام، ففي سنة (٩٤٥ ق. م) تمكن رجل من أصل ليبي أن يكون على رأس العرش المصري، حيث أسس الأسرة الثانية والعشرين في تاريخ مصر القديم^(٣٧) وبالرغم من وهن هذه الدولة إلا أنها كانت تدبر المؤامرات ضد الدولة الآشورية الصاعدة، مثل تحريض بعض الدويلات للتخلص من الحكم الآشوري، وفي بعض الأحيان كانت الدولة المصرية على ضعفها وخوفها من القوة الآشورية تمد القوى المحلية والقريبة منها بالمؤن والجيوش لوقف زحفها على أراضيها، فضلاً عن استعادة مكانتها السابقة على مدن الساحل التي كانت موانئ لها على البحر وتعمل على ازدهارها التجاري^(٣٨).

فيما يخص موضوعنا يذكر المؤرخون أنّ الملك الآشوري تجلات بلا سر واصل حملته التوسعية في بلاد الشام فاحتل السهل الساحلي، وأرسل نوابه لإدارة شؤون المدن والممالك المفتوحة، وانتهى في زحفه إلى حدود مصر، وتكريساً لاحتلاله المناطق المذكورة فإنه نصب تمثالاً كبيراً في غزة بقصر حانون، وعين نائباً له في جنوب فلسطين من عسقلان وحتى الحدود المصرية وفوض إليه صد الهجمات التي من المحتمل أن تقع والمحافظة على ما تحت يده من المدن والقرى^(٣٩)، وقد عانت الممالك والمدن التي وقعت تحت الاحتلال الآشوري مثل عسقلان وغيرها من ممالك الساحل ومدن الشام كثيراً إذ يتصف المصادر الحملات العسكرية الآشورية بالقسوة والعنف، وبث الرعب والخوف في نفوس البلدان التي يقع عليها الاحتلال، وقد دلّت النصوص الآشورية التي ذكرت أساليب تعاملهم مع أسرى الحرب

والسكان الرافضين للاحتلال، كما تصور المنحوتات الآشورية قيام العسكريون بقطع ايدي واقدام وأنوف وأذان السكان في المدن المقهورة وحرق الناس بالنار^(٤٠).

ويبرر بعض الباحثين هذه الأعمال بردع السكان والاستسلام للقوة الغازية، وما سيحل بها إذا هي خرجت أو فكرت بالخروج على طاعة آشور^(٤١)، ومهما وصفت هذه الأعمال من الأمور المتبعة في ذلك الوقت عند الحثيين والمصريين والممالك الساحلية، فإنَّ القائمين عليها يجدون أنها الحل الأخير والمناسب للسيطرة على السكان والحفاظ على سلامة الدولة وأمنها وهو ما يسمى بالحرب النفسية^(٤٢)، وخلال فترة حكم الآشوريين لمدن الساحل لم يهتموا بترقية المدن والممالك التي تحت حكمهم، بل كان جل اهتمامهم النهب والسلب من البلدان التي يستولون عليها وجمع ما فيها من ذهب وفضة وأمتعة^(٤٣)، وهذا ما جعل سكان تلك البلاد يثورون عليهم كلما سنحت لهم الفرصة، فالملك الآشوري تجلات بلاسر عندما هاجم عسقلان سنة (٧٣١ ق.م) وأحكم سيطرته عليها اعترف ملك عسقلان بحكمه لكنه سرعان ما ثار عليه محاولاً التخلص من تلك السيطرة، إلا أنَّ ثورته فشلت لقوة الآشوريين واحكام قبضتهم على البلاد^(٤٤)، وفي سنة (٧٠٥ ق.م) في عهد الملك سنحاريب ثارت عسقلان بقيادة ملكها صدقا، وكانت هذه الثورة أقوى من سابقتها حيث شملت مدناً أخرى فضلاً عن عسقلان، وقد وصف سنحاريب حملته على فلسطين سنة (٧٠١ ق.م) بأنَّ عسقلان في تلك الفترة وعلى عهد ملكها صدقا كانت تمتد نفوذها إلى يافا وبني براك وآزور وببيت دجن، وقد تم اخماد هذه الثورة أيضاً^(٤٥)، ويفهم من ذلك ما يدل على قوة ذلك الملك وسعة مملكته.

استمر حكم الآشوريين لعسقلان وغيرها من مدن الساحل حتى سنة (٦١٢ ق.م) حيث قضى على هذه الدولة الكلدانيون وخربوا عاصمتها نينوى، فانتهزت مملكة يهوذا الفرصة للاستيلاء على مدن الساحل وقام الفرعون المصري نخاو بالاستيلاء على غزة وعسقلان وهزم مملكة يهوذا وبهذا عادت ممالك الساحل إلى الدولة المصرية^(٤٦).

المبحث الثاني : أحوال مملكة عسقلان الاقتصادية وعلاقتها بالدولة المصرية

إذا أردنا أن نتعرف على قدم العلاقة بين عسقلان مصر، فإنَّ المصادر التاريخية تشير إلى أنَّها كانت قديمة قبل حكم الاسرات القديمة، وقد اتسمت تلك العلاقات بالتجارية نظراً لوفرة المواد الخام في عسقلان وما يجاورها من مدن^(٤٧)، إذ تمثلت العمليات التجارية التي كانت تحصل عليها عسقلان متنوعة كالأخشاب والمعادن وغيرها من المواد التي تكون

مصر بحاجة إليها، فضلاً عما تنتجه الأراضي العسقلانية من مواد زراعية مثل: الزيتون والخمر والنبذ وغيره^(٤٨)، وكان للاستقرار السياسي دور هام في إنماء الحركة التجارية ودفعها للأمام، ففي عهد الأسرة الثانية عشر ازداد الطلب على عسقلان بما تملك من موارد وخصوصاً المعادن منها كالنحاس والفيروز المتواجد في سيناء، ونظرًا لأهمية هذه المعادن فقد رأت السلطة المصرية وجوب حماية هذه المعادن والدفاع عنها إذا اقتضى الأمر ورد الاطماع عنها^(٤٩)، وينقل السنوار قصة (سنوحي) التي يفهم منها وفرت الزراعة في غزة وما حولها (عسقلان) فيقول:

(وتوضح قصة سنوحي الأوضاع الاقتصادية لبلاد كنعان، وسنوحي هذا أمير مصري لجأ إلى غزة بعد وفاة والده (أمنحوتب الأول) خوفًا من أخيه، وذلك حوالي ١٩٧٠ ق.م، ويصف سنوحي غزة وما حولها بأنها أرض خصبة، وإقليم طيب، يكثر فيه التين والعنب والعسل والزيتون، وشتى أنواع الحبوب كالحنطة والشعير والمواشي التي لا تحصى، أما الخمر فكانت أكثر شيوعًا من الماء، وإنه كان يتناول شتى أنواع الأطعمة من اللحوم والطيور والزبدة والحليب)^(٥٠).

وهذا ما يؤكد ازدهار المنطقة وتنوع خيراتها.

وتشير المصادر إلى أنّ العمل التجاري توسع بين البلدين خلال حكم الأسرة الثامنة عشر؛ وذلك عندما تولّت مصر إدارة القسم الجنوبي من سوريا وخصوصاً عسقلان، فأصبح تعيين الحكام لها من الفرعون المصري وهذا ما يدل على تبعيتها الاقتصادية لمصر كما هو الحال في الإدارة السياسية^(٥١)، ونتيجة لأهمية غزة وعسقلان فقد استوطنتها وعاش فيها كثير من التجار المصريين، بل كانوا أهم الجاليات التي استوطنتها، وكانوا يعملون في أسواقها ويعقدون المعاملات التجارية، ويصدرون ما تحتاجه مصر من منتجات وبضائع^(٥٢).

كانت عسقلان من الممالك الشهيرة بثروتها وتنوع موادها وقربها من مصر فضلاً عن موقعها الممتاز كميناء بحري ترسو فيه السفن غدواً وذهاباً مع مهارة أهلها في التعامل التجاري البحري والبري^(٥٣).

وقد أشارت الرسائل إلى أهمية عسقلان التجارية وتعاملها مع السيادة المصرية، ومدى خضوع هذه المملكة، ومن تلك الرسائل ما تؤكد التزام حاكم عسقلان بأداء الجزية المفروضة عليها من قبل السلطة المصرية، يقول الملك (إيديا) مخاطباً أمنحوتب الرابع:

(...) ها أنا أحمي مكان الملك سيدي ومدينة الملك سيدي التي تتبع لي من هو الكلب الذي لا يصغي إلى كلمات الملك الشمسي (المشرقة) من السماء، ها قد جهزت كل شيء طعامًا شرابًا خزافًا ومعزًا وحبوبًا وكل شيء أمر به الملك سيدي، نعم ها قد جهزته، ها أنا ذا أجهز جزية الشمس كما أمر الملك سيدي الشمس (المشرقة) من السماء^(٥٤).

فبالأنواع الواردة في هذه الرسالة تدل على الخيرات الوفيرة التي يملكها ملك هذه البلاد فضلًا عن أموال الجزية التي يدفعها سنويًا للسلطة المصرية.

وفي الرسالة التالية التي تؤكد غنى هذه المملكة وقدرتها على ادخار كل شيء تحسبًا لأي طارئ، يؤكد الملك (إيديا) للفرعون إخناتون:

(...) ها أنا ذا أحمي كلمات الملك سيدي ابن الشمس، وها أنا ذا قدمت طعامًا، شرابًا، حبوبًا، وثيرانًا، وخزافًا، لاستقبال قوات الملك سيدي، لقد خزنت كل شيء لأجل قوات الملك سيدي...^(٥٥).

وفي رسالة أخرى تدل على التزام الملك (إيديا) بكل ما يطلبه إخناتون من أشياء، فإن الملك يقدمها إليه بلا تردد، وهو ما تؤيده الرسالة التالية:

(...) أرسلت ثلاثين من الأحجار التي لا بد وأن تكون كريمة وذات قيمة...^(٥٦). ورغم ندرة المعلومات عن التعامل الاقتصادي بين مملكة عسقلان، إلا أن ما دلّت عليه الرسائل يؤكد العلاقة التجارية الممتازة التي وصلت إليها البلدين خلال الفترة التي نؤرخ لها.

النتائج

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد:

بعد الانتهاء من كتابة هذه البحث شكر الله تعالى وأحمده على الإعانة والتمكين في الوصول إلى هذه المرحلة بصورتها الحالية، وقد ظهرت عدة نتائج أوجزها بما يأتي:

١. تعد مدينة عسقلان من أقدم المدن الفلسطينية، وقد أكدت ذلك الحفريات المكتشفة حتى الآن والتي دلّت على أنها كانت مأهولة منذ العصر الحجري الحديث، ويؤكد هذا وجود بقايا ألواح دائرية، مثل: أساليب السكن وقتها، كما عثر على بقايا أدوات

مصنوعة من العظم وأواني حجرية وبقايا حيوانات تدل على وجود علاقات قديمة مع جيرانها وخصوصًا مع مصر.

٢. كانت عسقلان مركزًا دينيًا لمجموعة من الآلهة التي كانت تعبد في ذلك الوقت، مثل: الإله بعل وعشتار والإله داجان وقد كانت هناك عدة معابد لممارسة الطقوس وتقديم القرابين.

الاحالات:

- (١) إبراهيم، مصر والشرق الأدنى القديم، ٣٨٣/٢.
- (٢) الأحمد، تاريخ فلسطين القديم: ٢٠٢.
- (٣) حسين، قصة مجنو وعسقلان: ٢٢.
- (٤) العارف، تاريخ غزة: ٥.
- (٥) الدباغ، بلادنا فلسطين: ١٥٦/١.
- (٦) حورس: من الطرق القديمة التي تقطع سيناء مرورًا بأهم الممالك الجنوبية حتى بلاد الشام، وتدل عليه بقايا القلاع القديمة الممتدة على طول هذا الطريق. يُنظر: شقير: نعوم، تاريخ سيناء القديم، مؤسسة هنداوي، بيروت، ١٩٩٢م: ١١٢/١.
- (٧) سليمان: عامر وآخرون، محاضرات في التاريخ القديم: ٢٨٠.
- (٨) حتي، تاريخ لبنان وسوريا وفلسطين: ١٩٦/١.
- (٩) إبراهيم، مصر والشرق الأدنى القديم: ٢٨٦.
- (١٠) بورتر: ٢١ - ٢٢.
- (١١) إبراهيم، مصر والشرق الأدنى القديم: ١٠٤.
- (١٢) ديجورج: جيزار، دمشق في عصور ما قبل التاريخ: ١٤٠.
- (١٣) علي: حضارة مصر القديمة منذ أقدم العصور حتى نهاية عصر الاسرات الوطنية: ٢٨٦/٣.
- (١٤) ديجورج، دمشق في عصور ما قبل التاريخ: ٢٣.
- (١٥) المصدر نفسه: ٣٤.
- (١٦) ج. كونتنو، الحضارة الفينيقية ٧٠ - ٧١.
- (١٧) إسماعيل، مراسلات العمارة الدولية، رقم (٣٢٠): ٣١٨.
- (١٨) إسماعيل، مراسلات العمارة الدولية، رقم (٣٢١): ٦١٩.
- (١٩) المصدر نفسه: ٦٢٢.
- (٢٠) ياناب: هو لقب المندوب المصري الذي تم تعيينه في زمن الملك يديا من قبل الفرعون امنحوتب الرابع. الأحمد، تاريخ فلسطين القديم: ١٣٧.

- (٢١) إسماعيل، مراسلات العمارنة الدولية، رقم (٣٧٠): ٦٤٩.
- (٢٢) المصدر نفسه، رقم (٣٢٥): ٦٢٣.
- (٢٣) المصدر نفسه، رقم (٣٧٠): ٦٤٩.
- (٢٤) عبد- عشرتا: حاكم مملكة أمورو الموالي للدولة المصرية، ثم انقلب عليها بعد ذلك، والعدو للدود لحاكم جبيل، وكان رجلاً طموحاً يسعى للسيطرة على الممالك المجاورة له. محمد: جيهان عزة، اخبار مملكة أمورو في النصوص الأكادية، المديرية العامة للآثار والمتاحف، دمشق، ٢٠١١م: ٣٧.
- (٢٥) الجمل: الحثيون والفرعنة في الألف الثاني قبل الميلاد ١٩٨٣م: ١٢٤-١٢٧.
- (٢٦) الأحمد، تاريخ فلسطين القديم: ١٣٨.
- (٢٧) سعد الله، تاريخ الشرق الأدنى القديم: ٢٤٤.
- (٢٨) إسماعيل، مراسلات العمارنة الدولية، رقم (١٢٦): ١٣٠.
- (٢٩) إسماعيل، مراسلات العمارنة الدولية، رقم (١٤٨): ٤١٠.
- (٣٠) الأحمد، تاريخ فلسطين القديم: ١٣٩.
- (٣١) سليمان، حضارة العراق: ١٣٣/٢.
- (٣٢) ساكر، قوة آشور: ٣٤٨.
- (٣٣) باسل: سكان بحر إيجة في العصور القديمة: ١٧٧.
- (٣٤) المصدر نفسه: ١٩٣.
- (٣٥) باقر، مجلة سومر، م ٤، ١٩٤٨: ٩٥.
- (٣٦) مارديني: محمود، أهمية غزة التجارية في العصور القديمة، دار القلم، دمشق، ١٩٦٤م: ٨٣.
- (٣٧) برستد، تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي: ٣٥٦.
- (٣٨) عبد الحليم، مصر عبر التاريخ: ٤١٣/١.
- (٣٩) السنوار، تاريخ فلسطين عبر العصور: ٣١.
- (٤٠) المهنا: التطورات السياسية للدولة الآشورية: ٨٢.
- (٤١) ساكر، قوة آشور: ٣٥٠.
- (٤٢) عبد الله، الامبراطورية الآشورية: ١٩١.
- (٤٣) العارف، تاريخ غزة: ٦٦.
- (٤٤) حسين، قصة مدينة المجدل وعسقلان: ٢٤.
- (٤٥) المصدر نفسه: ٢٤.
- (٤٦) السنوار، تاريخ فلسطين عبر العصور: ٣٢.
- (٤٧) عصفور، معالم حضارات الشرق الأدنى القديم: ١٠٨.
- (٤٨) شوفاني: الموجز في تاريخ فلسطين السياسي منذ فجر التاريخ وحتى سنة ١٩٤٩: ٥٣.

- (٤٩) المصدر نفسه: ٦٤.
(٥٠) تاريخ فلسطين عبر العصور: ١٢.
(٥١) شوفاني، الموجز في تاريخ فلسطين: ٥٣.
(٥٢) العارف، تاريخ غزة: ١٦.
(٥٣) حسين، قصة مدينة المجدل وعسقلان: ٩.
(٥٤) إسماعيل، مراسلات العمارة الدولية: ٦٢٣.
(٥٥) المصدر نفسه: ٢٦٣.
(٥٦) الأحمد، تاريخ فلسطين القديم: ١٣٧.

قائمة المصادر والمراجع:

- إبراهيم: نجيب ميخائيل، مصر والشرق الأدنى القديم، دار المعارف الاسكندرية، ١٩٦٦م.
- حسين: عبد الرحيم أحمد، قصة مدينة، المجدل وعسقلان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، دائرة الثقافة بمنظمة التحرير الفلسطينية.
- العارف: عارف، تاريخ القدس، دار المعارف، مصر، ١٩٥١م.
- الدباغ: مصطفى مراد، بلادنا فلسطين، دار الطليعة، بيروت، ط٤، ١٩٨٦م.
- شقير: نعوم، تاريخ سيناء القديم، مؤسسة هنداي، بيروت، ١٩٩٢م.
- سليمان: عامر وآخرون، محاضرات في التاريخ القديم، كلية الآداب، جامعة الموصل، مركز البحوث الأثرية والحضارة.
- حتي: فيليب، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ترجمة: جورج حداد، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥٨م.
- بورتز: هارفي، موسوعة مختصر التاريخ القديم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩١م.
- ديجورج: جيرار، دمشق في عصور ما قبل التاريخ، ترجمة: محمود ماهر طه، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ٢٠٠٥م.
- علي: رمضان عبده، حضارة مصر القديمة منذ أقدم العصور حتى نهاية عصر الاسرات الوطنية، المجلس الأعلى للآثار، القاهرة.
- ج. كوننتو، الحضارة الفينيقية، ترجمة: محمد عبد الهادي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧م.



- اسماعيل: فاروق، مراسلات العمرنة الدولية - وثائق مسمارية- من القرن ١٤ ق. م، أنانا للطباعة والنشر، دمشق، ٢٠١٠م.
- محمد: جيهان عزة، اخبار مملكة أمورو في النصوص الأكادية، المديرية العامة للآثار والمتاحف، دمشق، ٢.
- الجمل: زينب أحمد، الحثيون والفراعنة في الألف الثاني قبل الميلاد، دار النهضة، مصر، ١٩٨٣م.
- سعد الله: محمد علي، تاريخ الشرق الأدنى القديم، مركز الاسكندرية للكتاب، مصر، ٢٠٠١م.
- سليمان: عامر وآخرون، محاضرات في التاريخ القديم، كلية الآداب، جامعة الموصل، مركز البحوث الأثرية والحضارة.
- باسل: محمود حسن، سكان بحر إيجه في العصور القديمة، مطبعة الوعي، دمشق، ١٩٦٧م.
- باقر، مجلة سومر، م ٤، ١٩٤٨.
- مارديني: محمود، أهمية غزة التجارية في العصور القديمة، دار القلم، دمشق، ١٩٦٤م.
- المهنا: رشا ثامر مزهر، التطورات السياسية للدولة الآشورية، رسالة ماجستير، جامعة بابل، كلية التربية، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.
- العارف: عارف، تاريخ القدس، دار المعارف، مصر، ١٩٥١م.
- حسين: عبد الرحيم أحمد، قصة مدينة، المجدل وعسقلان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، دائرة الثقافة بمنظمة التحرير الفلسطينية.
- عصفور: أبو المحاسن، معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١م.
- شوفاني: إلياس، الموجز في تاريخ فلسطين السياسي منذ فجر التاريخ وحتى سنة ١٩٤٩م، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٩٦م.